## هوامش

لا يُنقب معرض «الماضي المتشابك» عن أثر الانحيازات العنصرية التي مارستها الأكاديمية الملكية للفنون في لندن فحسب، بل يعترف ضمنياً بانحراف هذه الرؤية التي اعتمدت عليها هذه المؤسسة العريقة

من أعمال المعرض (الأناضول)

# الماضي المتشابك

## الأكاديمية الملكية في لندن تُراجع إرثها الاستعماري

**ريم ياسر**

الأكاديمية الملكية للفنون في لندن واحدة من بين أعرق المؤسسات الفنية في أوروبا. أسس هذه الأكاديمية الملك جورج الثالث، في عام 1768، بهدف دعم فنون الرسم والعمارة. وتبنّت منذ إنشائها منهجاً صارماً للتدريب اعتمد منذ البداية على رؤية للفن تتوافق مع المعايير المستلهمة من فنون عصر النهضة، أو ما سُمي بقواعد الذوق الرفيع. وقد افترضت هذه القواعد أن النموذج المثالي للجمال يتمثل في العرق الأبيض وحده. المعرض الذي تستضيفه الأكاديمية الملكية للفنون حتى 28 من إبريل/نيسان المقبل تحت عنوان «الماضي المتشابك» (Entangled Pasts)، لا يُنقب عن أثر هذه الانحيازات العنصرية فحسب، بل يعترف ضمنياً بانحراف هذه الرؤية التي اعتمدت عليها هذه المؤسسة العريقة.

أنشئت الأكاديمية الملكية للفنون في ذروة تجارة بريطانيا، عبر المحيط الأطلسي، بـ«العبيد» الأفارقة. في هذا الوقت، كان التوسع الاستعماري البريطاني في ازدياد، وكان لا بد لهذه الأجواء الاستعمارية أن تنعكس على أعمال هؤلاء الفنانين، وعلى رؤيتهم للشعوب الأخرى. في الأعمال الفنية التي تعود إلى تلك الفترة، غالباً ما كان يظهر الأشخاص ذوو البشرة الداكنة تابعين. أما الأعمال القليلة التي تجاوزت هذا الحضور الهامشي لسكان المستعمرات، فلم يكن يُعتد بها أو يتم التعامل معها بجدية.

يجمع المعرض جانباً كبيراً من هذه المعالجات ويناقش تأثيرها على المجتمع، كما ينقب كذلك عن تلك الأعمال القليلة التي احتلت فيها الشخصيات ذات البشرة الداكنة مكان الصدارة في أعمال الفنانين. إلى جانب هذه الأعمال الكلاسيكية، ثمة مجموعة أخرى من التجارب المعاصرة لفنانين من أصول أفريقية وآسيوية. يضم المعرض أكثر من 100 من الأعمال التي تراوح بين النحت والتصوير والرسم والتركيب. يقول القيمون على المعرض إن الهدف الواضح لهذا العرض هو استكشاف مدى عمق تغلغل آثار الاستعمار في ماضي الأكاديمية الملكية للفنون. بين الأعمال المعروضة، تقدم الفنانة البريطانية باربرا ووكر معالجاتها البصرية تحت عنوان «نقطة التلاشي». تعالج الفنانة في هذه الأعمال مدى وضوح الشخصيات الأفريقية في الأعمال الكلاسيكية للفنانين الغربيين. تهتم ووكر بتمثيل السود في أعمالها، وتستكشف الأساليب التي شكلت بها المؤسسات الفنية رؤيتنا للفن. في مجموعة الأعمال التي تقدمها ووكر، تعيد الفنانة رسم بعض الأعمال الكلاسيكية التي تحتوي على شخصيات أفريقية هامشية. في هذه اللوحات، تهمّش الفنانة الشخصيات الرئيسية عبر تحييدها لونياً، في حين تبرز الشخصية الهامشية بتأكيد تفاصيلها. تقول ووكر: «هذا ما يراه الأفارقة اليوم في هذه الأعمال، هم لا يرون سوى أنفسهم وقد أقصوا عن المشهد، أنا فقط أمنحهم الفرصة للظهور».

يضم العرض مجموعة من أعمال البورتريه التي رسمها فنانون خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لشخصيات سوداء، وهي نماذج استثنائية ونادرة. أغلب هذه الأعمال لشخصيات مجهولة باستثناء بعض الأسماء المؤثرة التي تم هُمّشت عمداً. من بين الأعمال المهمة هنا، لوحة للشاعر والكاتب البريطاني تشارلز إغناطيوس سانشو، وهو من أصول أفريقية، وكان شخصية بارزة في المجتمع الثقافي البريطاني خلال القرن الثامن عشر. رسمت هذه اللوحة عام 1768، وهو العام الذي تأسست فيه الأكاديمية الملكية. يستكشف القسم الأخير من المعرض موضوع «عبور المياه»، في إشارة إلى الرحلة القسرية للأفارقة المستعبدين عبر المحيط الأطلسي، واستحضاراً كذلك للرحلات الخطرة التي يخوضها المهاجرون اليوم. يبرز هنا عمل الفنانة الأميركية كارا ووكر، وهو من سلسلة «أرض غير مأهولة في مياه مجهولة». في هذا العمل، نرى أيادي سوداء عملاقة تمتد من أعماق البحر لتغرق سفينة مُحملة بالعبيد، في حين تصارع امرأة مجهولة الأمواج في يأس.

أخيراً، تبقى منحوتة الفنان الأميركي تافاريس ستراشان واحدة من بين العلامات المهمة في هذا المعرض، وهي مستلهمة من عمل ليوناردو دافنشي «العشاء الأخير» أحد أشهر الأعمال الكلاسيكية في تاريخ الفن. تحتل المنحوتة فناء الأكاديمية، وتستقبل الزائرين بهيئتها المهيمنة المكونة من اثني عشر شخصية تاريخية من أفريقيا. تلتف الشخصيات المصنوعة من البرونز الأسود حول طاولة كبيرة مُزينة بطريقة مُشابهة لبوابات الدخول في الأكاديمية. وتأكيداً لهذا الميل الزخرفي، طُليت بعض الشخصيات بأوراق الذهب، في مبالغة متعمدة للفت الانتباه، في مواجهة التمثال البرونزي القريب لأحد مؤسسي الأكاديمية الملكية السير جوشوا رينولدز.

**باختصار**

ينقب المعرض عن تلك الأعمال القليلة التي احتلت فيها الشخصيات ذات البشرة الداكنة مكان الصدارة في أعمال الفنانين

■■■

يقول القيمون على المعرض إن الهدف الواضح لهذا العرض هو استكشاف مدى عمق تغلغل آثار الاستعمار في ماضي الأكاديمية

■■■

يستكشف أحد أقسام المعرض موضوع «عبور المياه»، في إشارة إلى الرحلة القسرية للأفارقة المستعبدين عبر المحيط الأطلسي،

## وأخيراً

# كل الأيام لأمّهات غزّة

**سما حسن**

ما أشدّ ظلمنا لو قرّرنا أن نحتفل بأمهات غزّة في يوم واحد من العام، ما أشدّ قبحنا لو قدّمنا لهنّ تهاني مكرّرة جوفاء مثل أي تهنئةٍ لأيّ أمّ من دون أن نضيف مع التهنئة تربيتة كتفٍ حانيةٍ مثل جناح فراشة وحضن دافئ، رغم برودة الخيمة وباتساع الكون وكفّاً عظيمة تمسح الدمع الساخن المتساقط والمنهمر بلا توقّف والمتجدّد مع ساعات الليل، حيث يعمّ هدوء مترقّبٌ في المحيط، وحيث لا تفتر طائرات الموت عن التحليق بحثاً عن فريسة جديدة.

يجب أن نتخلّى عن الظلم والقبح معاً، حين نقرّر أن نمنح الأمهات عموماً في زمن الحرب يوما للاحتفال، أو أن نكرّمهن بفعالية أو حتى مظاهرة، فكل الأمّهات في زمنٍ تدور فيه آلة الموت بجنون هن المتفانيات حتى آخر رمق للحفاظ على فلذات أكبادهن، حتى لو أقدمت إحداهنّ على إبعاد طفلها عنها، مثلما فعلت أمٌّ لطفل سوري، حيث ألقته بقلبٍ متقافز الجنبات، مثل قلب أم موسى في القطار باتجاه حدود سلوفاكيا، لكي تنقذه من ويلات الحرب في أوكرانيا، وهي تعلم أنه سيبتعد عنها قاطعا وحده مسافة 1500 كيلومتر، ولكنها تحبّ هذه القطعة من الروح وتريد لها الحياة. أو مثلما عرضت أمٌّ غزّية رضيعتها للتبنّي على المارّة في أحد أسواق غزّة لأنها باختصار لا تريد لطفلتها أن تموت، وتريد لها الحياة حتى بُبعدها عنها.

الأمهات في زمن الحرب يتحوّلن فجأة إلى مُغامراتٍ وقائدات، وإن كانت قد غابت الكاميرات عن قصص ووقائع خلال حرب غزّة الطاحنة، فهناك قصصٌ لا تنسى مثل قصّة الأم التي دفعت بطفلها في اللحظة الأخيرة باتجاه طريق النجاة فيما تلقّت بصدرها رصاص الغدر، وهي ترفع الراية البيضاء. ومن المؤكّد أنها قد أغمضت عينيها للمرّة الأخيرة وهي تراه يبتعد لينجو حتى وهي تبتعد عنه إلى الأبد.

وعليك أن تشعر بمقدار ظلمك إن قلتَ إن الأم في غزّة بحاجة لباقة ورد أو رسالة شكر، فكلُّ أم في غزّة هي شلالٌ من التضحية، وبحرٌ لا ينضب من العطاء منذ زمن بعيد، وليس اليوم. وليس من خلال ما نقله الإعلام عن نماذج الأمهات المضحّيات اللواتي ينزحن بأطفالهن الرّضع مشيا على الأقدام ساعاتٍ، واللواتي يدفعن العربات البدائية التي تحمل بعض المتاع وأكثر من فلذة كبد في طرق وعرة حرثتها آلة الحرب مرّات ومرّات. الأم الغزّية إنْ يطيب لنا أن نطلق عليها هذا اللقب هي التي تسطّر التاريخ لأنها مبدعة ومبتكِرة فلا أم يمكن أن تبدع وتبتكر آياتٍ وصوراً دالّة عن حبّ الأبناء والتفاني والانصهار من أجل إنقاذ حياتهم ما استطعن إلى ذلك سبيلا.

وإذا كانت المرأة قد جبلت على الأمومة منذ صغرها، فالأم الفلسطينية، وخصوصاً الغزّية تتعرّض حالياً لحرب متسلسلةٍ لمنعها من الإنجاب، وحيث ذكرت دراسة حديثة أن الأمهات في غزّة يتعرّضن لحملة تعرف باسم الحؤول دون الإنجاب في جماعة معينة. وحسبما أشار أحدث تقرير للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان فإن المرأة في غزّة وخلال هذه الحرب تتعرّض لأقسى أنواع القمع والتعذيب، لكي لا تتمكّن من النجاة بحملها، وذلك ضمن خطط الإبادة الجماعية للشعب في غزّة، فالحامل في خيم النزوح ومراكز الإيواء تعاني من سوء التغذية وانعدام الرعاية الصحية، ما يهدّد حياتها وحياة جنينها، وفيما تتعرّض مع أسرتها لمشقّة الحصول على الطعام، رغم ثقل حركتها فهي تتعرّض لمخاطر الولادة بعيداً عن المشافي، فحالات الولادة في الخيام وعلى قارعات الطرق وفي البيوت المحاصرة كثيرة. وقليلاً ما تنجو منها الأم ومولودها، وليس أشدّ حسرة على أيّ أمٍّ كإنجاب مولود ميت، والأشد أيضاً أن تربّي طفلاً جميلاً وأبيض و«شعره كيرلي» ثم تفقده بسبب الحرب. ولكن وفي لحظات الأمل في النجاة فهي تصفه دوماً، وفي كل موقف، كما تراه عين قلبها بأجمل الأوصاف التي تتناقلها الألسن، تعبيراً عن جمال الأطفال، فلله درّك يا أمّ الأمهات يا أمّ الأيام، ويا صاحبة كل الأعياد.

> كلُّ أم في غزّة هي شلالٌ من التضحية، وبحرٌ لا ينضب من العطاء منذ زمن بعيد، وليس اليوم

**سعر النسخة:** مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**